الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

احتفال المجمع باعلان نتيجة المسابقة الأدبية :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد الماضي بإعلان نتيجة المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقد افتتح جلسة الحفل معالي رئيس المجمع الأستاذ لطفي السيد باشا ، ثم وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته عن مسابقة الشعر ، وقد بدأها بالإشارة إلى أزمة الشعر في الغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وأورد تعليلات بعض النقاد الغربيين لهذه الظاهرة ، وأهمها أن القرن التاسع عشر تزعزعت فيه الدعائم التي كانت مستقرة ، وتبلبلت فيه الأذهان التي كانت تتلاقى على أصول متفق عليها للتفاهم وتبادل الشعور ، ولا محل للشعر الفخم ، ولا للفن الرائع ، حيث يبطل التفاهم بين الناس بالشعور ، وينقطع التواصل بينهم بالذوق والخيال . وقال إن بعض النقاد يردون كساد الشعر — مع نظرتهم إلى المجتمع تلك النظرة — إلى عصر الصناعة ، وضياع أنغام القصيد ، وألحان الفن الجميل في ضجة الآلات وغمرتها

ومضى الأستاذ في ذلك إلى أن استشهد بما قاله الأستاذ بنتو « pinto » أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة نوتنجهام في كتابه عن أزمة الشعر الانجليزي ، من أن الفترة التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى بنحو عشر سنين كانت فترة لا يؤمن فيها الإنسان بما يستحق أن يحارب من أجله أو يستحق أن يحاربه ، وسواء فيها أن تناضل في هذا الميدان أو ذاك ، فلا محل إذن للنضال .

وخلص من ذلك إلى قيام مدارس « استفزازية » في الشعر وسائر الفنون ، تقف موقف العاجز المتحدي المستفز ، الذي لا يكلف نفسه شيئاً ولا يسكت

ثم قال إننا لا نلحظ في مصر تلك الزعزعات لأن مجتمعاتنا تقوم على أسس غير أسس الاجتماع في البلاد الغربية ، فنحن لم ننقطع عن الجادة ، ولم تبلغ بنا الحيرة ذلك المبلغ ، والشاهد على هذا الموقف هو الديوانان اللذان أجازهما المجمع هذا العام ، وهما : ديوان « حياتي ظلال » للأستاذ إبراهيم محمد نجا ، وديوان « اليواقيت » للأستاذ خالد الجرنوسي ، وكلاهما يشتمل على الأمانيل والقصص الذي تستفاد منه العظات ، وما دامت هناك أمثولة فهناك قدوة مطلوبة وطريق مسلوك ، وما دامت هناك عبرة فهناك معبر أو منهج معبور

وأتى الأستاذ العقاد بأمثلة من شعر الديوانين مع شيء من التحليل الموصل إلى تلك النتيجة ، ثم ختم كلمته بقوله عن الشاعرين : كان من مزاياهما أنهما يجمعان في عملهما بين القيمة الفنية والدلالة الاجتماعية ، ومن أجل هذه المزايا خص المجمع أحدهما الأستاذ نجا بجائزة الشعر الأولى في هذا العام ، وخص زميله الأستاذ الجرنوسي بجائزته الثانية

وأعقب ذلك الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته عن القصة ، وقد تحدث عن القصة الفائزة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمد ، حديثاً تحليليا كشف فيه عن محاسن القصة وذكر بعض المآخذ فيها ، ثم قال : ولعلي لا أذيع سرا مجمعيا حين أصارح بأن مجمعنا اللغوي تتردد فيه نزعتان : إحداهما تبغي تسجيل ما اشتهر من الألفاظ وذاع ، والأخرى تريد أن ترشح للاستعمال جديداً من الألفاظ الفصيحة فيه غناء ، وهاتان النزعتان تمثلتا دون قصد في عناية المجمع بالإنتاج الأدبي ؛ فلقد أجاز من قبل أدباء ذوي أسماء معروفة ، فكرم إنتاجهم وسجل اشتهارهم ، وإنه لليوم ليزكي اسماً جديداً ينتظره الاشتهار ويستقبله الذيوع

وبعد ذلك تحدث الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف بك عن « الحسين بن أحمد الرصفي » موضوع البحث الفائز — وهو للأستاذ محمد عبد الجواد — فقال إنه أحد الأساتذة الذين كان لهم فضل في الدراسة الأدبية منذ بضع وثمانين سنة ، ثم ماتوا وتركوا آثارهم في الصدور ، وقد أراد المجمع إحياء تاريخه من طريق باحث من معاصريه قبل أن يمحق الزمن على سيرته ، وقال إن الأستاذ محمد عبد الجواد صور هذه الشخصية وجلاها ، وأبرز

ما فعله بيان منهج الشيخ حسين المرصفي في الدراسة، إذ جمع بين العلم والأدب فكان يدرس الشواهد النحوية والبلاغية دراسة أدبية، قال الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك ذلك ثم اقترح على صاحب البحث أن يهتم بهذه الناحية في دراسة الشيخ حسين المرصفي .. وهي منهجه العلمي الأدبي الذي قال إنه أبرز ما في البحث .. فإذا كان هذا الاهتمام واقعاً فكيف يقترحه، وإذا لم يكن واقعاً فلم أشاد به .. ؟

تتبجة المسابقات

ثم وقف الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي المراقب الإداري للمجمع، فأعلن نتيجة المسابقات، وهي كما يلي :

١ — القصة : لم تجد اللجنة بين القصص المقدمة قصة تستحق الجائزة الأولى، ورأت أن خير القصص المقدمة قصة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمد، فمنحتها الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه

٢ — الشعر : قررت اللجنة أن يمنح الأستاذ إبراهيم محمد نجا الجائزة الأولى للشعر وقدرها ١٥٠ جنيها على ديوانه « حياتي ظلال » وأن يمنح الأستاذ خالد الجرنوسي الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على ديوانه « اليواقيت »

٣ — البحوث الأدبية : لم تجد اللجنة بين البحثين المقدمين ما يستحق الجائزة الأولى، وقررت أن يمنح الأستاذ محمد عبد الجواد الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على بحثه « الحسين ابن أحمد المرصفي »

٤ — الكتب المحققة : رأت اللجنة أن الكتب المقدمة لم تستوف شروط منح الجائزة

بقية الجوائز لوزارة المالية

كان المقرر لجميع الجوائز ألف جنيه، منح منها الفائزون ٥٤٠ جنيهاً، وذهب الباقي — وقدره ٥٥٠ جنيها — إلى بيت المال « وزارة المالية » إذ منحت الجائزة الأولى في كل من القصة والبحوث الأدبية، ومنحت كذلك جائزة الكتب المحققة كما سبق. وفي رأيي أن أصحاب الإنتاج المقدم كانوا أولى من وزارة المالية التي لا تنتج أدباً تستحق التشجيع عليه !

الكوميديا الإلهية

كان الأستاذ كامل كيلاني قد لخص « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالي « دنتي أليجييري » وألحقها بالطبعة الثالثة من شرحه لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري، قاصداً بذلك أن يقرن بين العملين الأدبيين اللذين تشابها وكتبت البحوث المستفيضة في مدى ما بينهما من عوامل أو تخالف، وما قيل من تأثر دنتي بالمعري في الخيال الذي طاف بأرواح الخالدين في العالم الآخر

وقد رأى الأستاذ أخيراً أن يعد هذه القصة « الكوميديا الإلهية » إعداداً يناسب الشباب، فأفردها في طبعة جديدة، وتناولها بالدرس والشرح والتحليل في خلال السياق نفسه

ولهذا العمل الذي يقوم به المربي الأديب الكبير الأستاذ كامل كيلاني، ناحيتان لهما أكبر الأثر في التثقيف الأدبي وبخاصة في تنشئة الجيل وتخريجه وإعداده لتذوق الأدب الرفيع

الناحية الأولى هي قطف الثمرات الأدبية التي أخذت مكانها البارز على فروع شجرة الآداب العالية، ومعالجتها بما يدنيها من أفهام الشباب وأذواق المعاصرين على العموم. وقد اختار من الأدب الغربي أربع قصص ذات صيت، أولاها « الكوميديا الإلهية » لشاعر الطليان، والثانية « جلفر » لسويفت الانجليزي، والثالثة « روبنسون كروزو » لدانييل ديفو الانجليزي أيضاً، وقد ظهرت هذه القصص الثلاث، وبقيت القصة الرابعة التي لا تزال تحت الطبع وهي « دون كيشوت » لسرفنتيس الإسباني

ومما يذكر أن تحت شباب بين قصتي « روبنسون كروزو » و « حي بن يقظان » لابن طفيل، كما بين « الكوميديا الإلهية » و « رسالة الغفران » ويؤيد القول بأن صاحب « روبنسون كروزو » استلهم « حي بن يقظان » أن هذه القصة العربية ترجمت إلى الانجليزية سنة ١٦١٦ م ثم ترجمت من الانجليزية إلى عدة لغات، وألف « روبنسون كروزو » بعد ذلك بعشرات من السنين

الناحية الثانية، أو الثمرة الثانية، لذلك العمل الخصب، هي الصياغة العربية الجميلة التي يصوغ بها الأستاذ الكبير تلك الآثار الخالدة، هذه الصياغة التي يعطي فيها الناشئ محصولا

فيها من اللغة اللائقة له ، وعمل الأستاذ كيلاني في هذا الحقل يشمل إنتاجه الوافر من بدئه مع الطفل في روضته حتى يبلغ بالشاب مستوى النضج . ونراه هنا في « الكوميديا الإلهية » يرتفع بفنه إلى أسلوب يدنيه من أساليب البلغاء ، ويسيغ له ما يراه جديدا عليه من الكلمات بوضعها في سياق مبين أو بشرحها بين الأقواس ، وهو يأتي بالكلمات الشروحة سائغة عذبة في تركيبها ، ولم أجد فيها ما شذ عن ذلك إلا كلمتين ارتطمتا بذوقي وهما « حبيبه » و « وديه » في العبارة التالية : « إن اسمى بيتريس وقد جئت إليك من دار النعيم ، يدفعني حبيبه (محبتي له) ويحفزني وديه (مودتي له) ... » وأنا لا أميل إلى اختيار الكلمات لمجرد إضافتها إلى المحصول اللغوي دون أن تكون خيرا من غيرها

وإني أورد هذه « الملاحظة » كرقية تقي سائر ما يتصف به أسلوب الكتاب من جمال — شر عين الحاسد ...

مظاهر أبهة ومعروف مضيعة :

قرأت في الأسبوع الماضي كلمة بتوقيع « أحمد محمد مرزوق » في جريدة « اللواء الجديد » الأسبوعية ، قارن فيها الكاتب بين مقابلتين وقعتا له: الأولى مع وكيل وزارة المعارف المصرية (وكان إذ ذاك حسن فائق باشا) والثانية مع وكيل وزارة المعارف بألمانيا . لاحظ في المقابلة الأولى فخامة المظهر من مكتب فاخر ومقاعد وثيرة ... الخ وما يصحب ذلك من حجب وانتظار ، وقارنه بما رأى في وزارة المعارف الألمانية من بساطة وسرعة استقبال، متمنيا أن نأخذ بمثل هذا ونوفر للدولة ما ينفق على تلك المظاهر وما تجر إليه من تعطيل مصالح الناس

الحقيقة التي لا شك فيها أن الواقع في الدواوين عندنا ينطبق على ما ذكره الكاتب الفاضل ، بل هو أكثر منه ، وكثير من الكتاب يعقدون أمثال هذه المقارنات بين ما هنا وما هنالك . وفي الموضوع زوايا قد تخفى على بعض الأنظار ، وهي تتمثل في اختلاف الحال بيننا وبين من نتطلع إلى واقعهم الجميل .. وأود قبل الإنعام في هذه الزوايا ، أن أسأل : لم خص الكاتب حسن فائق باشا بالذكر ؟ ويدعوني إلى هذا السؤال أن فائق باشا بالذات من أقل كبرائنا المصريين ميلا إلى هذه الأبهة والعزة بالسلطان ، إلى ما عرف عنه من نظافة السيرة والتشبث بإحقاق الحق ، ولا يذكره بغير الثناء إلا الذين منعهم بالحق ما أرادوه بالباطل . . فمثل هذا الرجل لا ينبغي أن يذكر مثلا لأمر عام هو أقل الناس انطباقا عليه

أما الموضوع عينه فأحب أن يكون في الاعتبار ، عند النظر فيه، إمكانيات واقعنا . إنه لا يكفي أن نطالب ولاة الأمور بفتح أبوابهم للشاكين وأصحاب الحاجات دون أن ينظر في العوامل التي تكثر من أجلها الشكاوى والمطالب ، فإنهم لو فعلوا لأضاعوا وقتهم ولم يستطيعوا أن ينجزوا أعمالهم . والذين يقصدونهم إما صاحب حق مضيع من جراء الفوضى وإهمال الموظفين ، أو وصولي يسابق للظفر بما يرضي طمعه ، أو جاهل أحمق جاء يطلب مالا ينبغي أن يطلب ، ومن أمثلة هذا النوع الأخير رجل ذهب إلى مكتب وزير المعارف يقول إن ابنه المتقدم لامتحان الشهادة الابتدائية سيسافر معه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ويطلب أن يؤجل امتحانه حتى يرجع فيعقد له امتحان خاص ..

وكل هؤلاء الطالبين والمطالبين قد استقر في أذهانهم أن « كل شئ بالواسطة » فهم يريدون أن ينالوا بالوساطة كل شئ .. والتبعة في كل ذلك تقع على ولاة الأمور الكبار في مجموعهم ، فإهمال سواد الموظفين مصالح الناس لا يقع إلا من إغضائهم ، وتسابق المتسابقين لنيل ما يبغون بالحق أو بالباطل فاشئ مما يصنعه أولئك الكبار لـ « المحسوبين » مما يعرفه الناس ويذكرونه محتجين به عندما ترد مطالبهم

فلو عولج كل ذلك لما اضطر الجمهور ولا تسابق الطالبون إلى الهجوم والضغط على ولاة الأمور ، ولوجد هؤلاء الأولياء أنفسهم في غير حاجة إلى الحجاب ومن يدفعون عنهم الملحفين، بل لوجدوا أنفسهم في غير حاجة أيضا إلى الحجرات الفسيحة والأثاث المنضود ، لقلة القصاد ، وانحسار ما يضفيه عليهم المترددون والمتزلفون . وإن أكثر ما نراه من الاعتزاز بالمناصب إنما هو من الحقوق المضيعة ...

عباس خضر